﴿إِنۡ هُوَ إِلَّا وَحۡيٞ يُوحَىٰ ٤ عَلَّمَهُۥ شَدِيدُ ٱلۡقُوَىٰ ٥ ذُو مِرَّةٖ فَٱسۡتَوَىٰ ٦ وَهُوَ بِٱلۡأُفُقِ ٱلۡأَعۡلَىٰ ٧ ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ ٨ فَكَانَ قَابَ قَوۡسَيۡنِ أَوۡ أَدۡنَىٰ ٩ فَأَوۡحَىٰٓ إِلَىٰ عَبۡدِهِۦ مَآ أَوۡحَىٰ ١٠﴾ [النجم: 4 - 10]

❁ مُناسَبَةُ الآياتِ لِما قبلَها:

بعد النَّفي الَّذي يحملُ التَّنزيهَ أتى بالحصر الَّذي يدفعُ الإنكار

لمّا أكَّدَ سبحانه أنَّ النَّبيَّ ﷺ لم يجاوزْ نطقُه فمَه في وقتٍ من الأوقات لا في الحال ولا في الاستقبال، نطقًا ناشئًا عن الهوى، وأنَّه لم يتقوَّلِ القرآنَ من عند نفسه؛ تنزيهًا له عمّا نُسِبَ إليه، فكان ذلك مَظِنَّةَ السُّؤال من الكافرين عن أصلِ ما تقوَّله بحسبِ زعمهم، أجابَ سبحانه بالحصر الَّذي يدفعُ إنكارهم، فقال: ﴿إِنۡ هُوَ إِلَّا وَحۡيٞ يُوحَىٰ﴾[1].

❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿وَحۡيٞ﴾ - ﴿يُوحَىٰ﴾: الوحيُ: إلقاءُ عِلْمٍ في إخفاءٍ أو غَيرِه إلى غَيرِكَ، والوحيُ: أصلُه الإشارةُ السَّريعة، ويقالُ للكتابة: وحيٌ؛ إذ هي إشارةٌ ما، وقد يكونُ الوحيُ بالإلهام، كما يكونُ بضربٍ منَ الكلام، وقد يقالُ ذلك للوساوس، والإيحاءُ: إيقاعُ المعنى في القلبِ بطريقة خفيَّة، وكلُّ ما في القرآن من التَّركيب هو من الوحي بأيٍّ مِن الطُّرقِ السّابقة، ومعنى ﴿وَحۡيٞ يُوحَىٰ﴾، أي: ما هذا القرآن إلّا وحيٌ يوْحيه اللّهُ إلى محمَّد ﷺ عن طريقِ جبريل[2].

2) ﴿ٱلۡقُوَىٰ﴾: جمعُ (قوَّة)، وأصلُها يَدُلُّ عَلى شِدَّةٍ وخِلافِ ضَعْفٍ، والقَويُّ: خِلافُ الضَّعيف، ورَجُلٌ شَديدُ القوَى، أي: شَديدُ أسرِ الخَلقِ[3]، والقوَّةُ تُستَعمَلُ في مَعْنَى القُدرَة، نَحوُ قَوْلِه: ﴿خُذُواْ مَآ

(1) البقاعي، نظم الدرر: 19/ 43.
(2) ابن جرير الطبري، جامع البيان: 22/ 498، والبيضاوي، أنوار التنزيل: 5/ 157.
(3) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (قوي).

ءَاتَيۡنَٰكُم بِقُوَّةٖ﴾ [البقرة: 63]، وفي القُدرَةِ الإلَهيَّةِ، نَحوُ قَولِهِ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٞ ٢١﴾ [المجادلة: 21][1]، ومعنى ﴿شَدِيدُ ٱلۡقُوَىٰ﴾، أي: جبريلُ ﷺ شديدُ الأسباب[2].

3) ﴿مِرَّةٖ﴾: من الإمرار، والمِرَّةُ: القوَّةُ والشِّدَّةُ والعقلُ، وشِدَّةُ الفَتْل، والمِرَّةُ: شِدَّةُ أسْرِ الخَلْق، ومنه: فلانٌ ذو مِرَّةٍ، أي: قوَّة الخلقِ وشدَّته، كأنَّه محكمُ الفتل، ومعنى ﴿ذُو مِرَّةٖ﴾ أي: ذو قوَّةٍ، وذو إحكام، وحصافة في عقلِه ورأيه، وصحَّةِ الجِسمِ وسلامتِه مِنَ الآفاتِ والعاهاتِ، ويعني به جبريل خَلَقَهُ اللّه تَعالَى قَويًّا ذا مِرَّة شَديدَةٍ[3].

4) ﴿فَٱسۡتَوَىٰ﴾: له معانٍ متعدِّدةٌ، ويُستَعملُ لازمًا، ومتعدّيًا بالحرف، فمِنَ الأوَّل قولُهم: استَوَى الشَّيءُ؛ إذا اعتدلَ في ذاته، واستوى الرَّجلُ؛ إذا انتهى شبابُهُ[4]، ومِنهُ قول اللّه تعالى: ﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ وَٱسۡتَوَىٰٓ ءَاتَيۡنَٰهُ حُكۡمٗا وَعِلۡمٗاۚ﴾ [القصص: 14]، ومِنَ الثّاني قولهم: استَوَى على الشَّيء؛ إذا علا عَلَيه، وارتفع[5]، ومعنى ﴿ذُو مِرَّةٖ فَٱسۡتَوَىٰ﴾ هنا، أي: سويٌّ، يعني: جبريلَ ﷺ خَلَقَهُ اللّه قَويًّا سَويًّا معتدلًا[6]، ومعنى فاستوى: فاستقامَ، واعتدلَ بغايةِ ما يكون من قوَّته على أكملِ حالاته على صورتِهِ الحقيقيَّة الَّتي خلقهُ اللّهُ تعالى عليها، وقيل: استوى بقوَّته على ما جعلَ له من الأمر[7].

5) ﴿بِٱلۡأُفُقِ﴾: أصله يَدُلُّ على تَباعُدِ ما بَينَ أطرافِ الشَّيءِ واتِّساعِه، وعلى بُلوغِ النِّهايَةِ، ومِن ذَلِكَ الآفاقُ: النَّواحي والأطرافُ، وللسَّماءِ آفاقٌ وللأرْضِ آفاقٌ، فأمّا آفاقُ السَّماءِ؛ فما انتَهَى إلَيهِ البَصَرُ مِنها، مَعَ وجْهِ الأرضِ مِن جَميعِ نَواحيها، أي: منتهى ما تراهُ العينُ من الأرض، كأنَّما التقتْ عنده بالسَّماء، وأمّا آفاقُ الأرضِ؛ فأطرافُها مِن حَيثُ أحاطَتْ بكَ[8]، ومعنى ﴿بِٱلۡأُفُقِ﴾، أي: أفقُ السَّماء، وهو جانبٌ من جوانبها، وهي النِّهايةُ في العلوِّ والفضلِ من السَّماء[9].

(1) الراغب، المفردات: (قوي).
(2) ابن جرير الطبري، جامع البيان: 22/ 498.
(3) الراغب، المفردات، والسمين الحلبي، عمدة الحفاظ، وابن منظور، لسان العرب: (مرر)، وابن جرير الطبري، جامع البيان: 22/ 499، والبيضاوي، أنوار التنزيل: 5/ 157.
(4) الجوهريّ، الصِّحاح، والراغب، المفردات: (سوا)، والزَّبيديّ، تاج العروس: (سوو).
(5) الأزهريّ، تهذيب اللُّغة: (سوي).
(6) الخليل، العين، والزبيدي، تاج العروس: (مرّ).
(7) البيضاوي، أنوار التنزيل: 5/ 157، والبقاعي، نظم الدرر: 19/ 45.
(8) ابن فارس، مقاييس اللغة، وابن منظور، لسان العرب، وأحمد مختار عمر، معجم اللغة العربية المعاصرة: (أفق).
(9) الماوردي، النكت والعيون: 5/ 392، والبيضاوي، أنوار التنزيل: 5/ 157، والبقاعي، نظم الدرر: 19/ 45.

6) ﴿دَنَا﴾: دَنا الشَّيءُ مِنَ الشَّيءِ دُنوًّا ودَناوَةً: قَرُبَ، ويُقالُ: دانَيتُ بينَ الأمرين؛ إذا كانَت منكَ مُقارَبةٌ بينَهُما[1]، والأصلُ في معناه كذلك، وهو القربُ والمقاربة[2]، والقربُ قد يكونُ بالزَّمانِ والمكانِ، وقد يكونُ مَعنويًّا أو بالحُكمِ[3]، ومعنى ﴿دَنَا﴾: اقتربَ.

7) ﴿فَتَدَلَّىٰ﴾: أصْله يَدُلُّ على مُقارَبَةِ الشَّيءِ ومُداناتِهِ بسُهولَةٍ ورِفْقٍ، يُقالُ: أدلَيْتُ الدَّلْوَ، إذا أرْسَلْتَها في البِئرِ[4]، والتَّدلّي استرسالٌ مع تعلُّق كتدلّي الثَّمرة[5]، وتَدَلَّى؛ إذا قَرُبَ بَعدَ عُلْوٍ، وإذا تَواضَعَ، ومعنى قولِه تَعالَى: ﴿ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ﴾: ثمَّ دَنا جِبْريلُ مِن محمَّدٍ ﷺ فتَدَلَّى، أي: زادَ في القُرْبِ[6].

8) ﴿قَابَ﴾: أصلُ القابِ: القَدْرُ، ويُقالُ: قابُ القوس: ما بَينَ المَقْبِضِ والسِّيَةِ - أي: طرفُ القوس - ولِكُلِّ قَوْسٍ قابانِ، يُقال: بَينهما قابُ قَوسٍ؛ كِنايَةً عَن القرب، ومعنى ﴿فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ﴾، أي: طولُ قوسين[7]، أو مقدارُ قوسين، أي: مسافةُ قدرِ قوسين[8].

9) ﴿قَوْسَيْنِ﴾: أصلُ (قوس) يَدُلُّ على تَقديرِ شَيءٍ بشَيءٍ، فالقَوسُ: الذِّراعُ، وسُمِّيَتْ بذَلِكَ؛ لأنَّهُ يُقَدَّرُ بها المَذْروعُ[9]، والقَوسُ: آلَةٌ مِن عودِ نَبْعٍ، مُقَوَّسَةٌ يُشَدُّ بها وَتَرٌ مِن جِلْدٍ، ويُرْمَى عَنها السِّهامُ والنِّشابُ، وهيَ في مِقدارِ الذِّراعِ عِندَ العَرَبِ[10]، والقوسان معروفان، وهما ما يُرمى عنهما، قيل: أرادَ بهما القريبين، وكأنَّهما أقصرُ شيءٍ من غيرهما، من قسيِّ النّاس، وقيل: هما الذَّراعان[11].

10) ﴿أَدْنَىٰ﴾: اسمُ تفضيل، من الدُّنوِّ، ومعناه القربُ، ويُقالُ: دانَيتُ بينَ الأمرين؛ إذا

(1) الأزهريّ، تهذيب اللّغة، والجوهريّ، الصّحاح، وابن منظور، لسان العرب: (دنا).
(2) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (دنى)، ومحمد جبل، المعجم الاشتقاقيّ المؤصّل: (دنو).
(3) الرّاغب، المفردات: (دنا).
(4) ابن فارس، مقاييس اللغة: (دلى).
(5) البيضاوي، أنوار التنزيل: 5/ 157.
(6) الزبيدي، تاج العروس: (دلي).
(7) ابن فارس، مقاييس اللغة: (قاب)، والمعجم الوسيط، وأحمد مختار عمر، معجم اللغة العربية المعاصرة: (قوب).
(8) ابن جرير الطبري، جامع البيان: 22/ 502، والبقاعي، نظم الدرر: 19/ 45.
(9) ابن فارس، مقاييس اللغة: (قوس).
(10) ابن عاشور، التّحريرُ والتّنوير: 27/ 97.
(11) السمين الحلبي، عمدة الحفاظ: (قوس).

كانَتْ منك مُقارَبةٌ بينَهُما[1]، والأصلُ في معناه كذلك، وهو القربُ[2]، والقربُ قد يكونُ بالزَّمانِ والمكانِ، وقد يكونُ مَعنويًّا أو بالحُكمِ[3]، ومعنى ﴿أَدۡنَىٰ﴾: أقرب[4].

❁ المَعْنى الإجْماليُّ:

بيانُ صِدقِ النَّبيِّ ﷺ وقوَّةِ جبريل الَّـذي علَّـمه، وقرَّبه منه

يُبيِّنُ اللّهُ تعالى بأسلوبِ الحصر صِدقَ النَّبيِّ في رسالته وأمانته في تبليغها، فيقول: ما نُطْقُ النَّبيِّ ﷺ في الدّينِ إلّا وحْيٌ يوحيه اللّهُ إليه، وقد علَّمَ مُحمَّدًا ﷺ هذا القُرآنَ جِبريلُ عليه السلام الشَّديدُ القوَى، ذو الجِسمِ القَويِّ السّالمِ مِنَ النَّقصِ، الجَميلُ ظاهِرًا وباطِنًا، فارتَفَع جِبريلُ، وعلا في السَّماءِ على صورتِه الحَقيقيَّةِ، وهو في ناحيةِ السَّماءِ العُليا، ثمَّ اقتَرَب جبريلُ مِن مُحمَّدٍ ﷺ وتدَلَّى إليه؛ ليوحيَ إليه ما شاء اللّهُ، فكان مِقدارُ قُربِ جِبريلَ مِن مُحمَّدٍ ﷺ قَدْرَ قَوسَينِ، أو هو أقرَبُ، فأوحى جِبريلُ إلى عبدِ اللّهِ مُحمَّدٍ ﷺ ما أوحاه إليه مِنَ اللّهِ تعالى.

❁ الإيضاحُ اللُّغَويُّ والبَلاغيُّ:

بلاغةُ الاستئناف البيانيّ:

استئنافٌ يبيِّن أنَّ النَّبيَّ ﷺ لا ينطقُ إلّا بالوحيِ عن الله

قولُه تعالى: ﴿إِنۡ هُوَ إِلَّا وَحۡيٞ يُوحَىٰ﴾ استِئنافٌ بَيانيٌّ لجُملةِ: ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلۡهَوَىٰٓ﴾[5]، الَّتي تستثيرُ سؤالًا لمن يسمعها، وهو: فبماذا ينطقُ؟ أعنِ الدَّليلِ أو الاجتهاد؟ فجاء الجوابُ: إنَّما ينطقُ عن اللّهِ بالوحي[6]، أي: بين الجملتين شبهُ كمال اتِّصال.

(1) الأزهريّ، تهذيب اللّغة، والجوهريّ، الصّحاح: (دنا).
(2) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (دنى)، ومحمد جبل، المعجم الاشتقاقيّ المؤصّل: (دنو).
(3) الرّاغب، المفردات: (دنا).
(4) ابن جرير الطبري، جامع البيان: 22/ 502.
(5) ابن عاشور، التّحريرُ والتّنوير: 27/ 94.
(6) الفخر الرازي، مفاتيح الغيب: 28/ 235، والبقاعي، نظم الدرر: 19/ 43.

دلالة ﴿إِنۡ﴾:

بـعـد أن زكّى سبحانه الدّافع ثبّت أنّـه وحـيٌ بـأقـوى حـالاتِ الإثبات

﴿إِنۡ﴾ تدلُّ على النَّفي من وجه، وعلى الإثباتِ من وجهٍ آخر، ودلالتها في قوله تعالى: ﴿إِنۡ هُوَ إِلَّا وَحۡيٞ يُوحَىٰ﴾ على قوَّةٍ في النَّفي؛ لأنَّها أتت مع ﴿إِلَّا﴾، فأفادتِ الحصرَ[1]، أي: ليس ما نطقَ به إلّا وحيٌ من الله، ولذا آثرَ القرآنُ التَّعبيرَ بها هنا؛ لأنَّ مسألةَ الوحي هي المسألةُ الأساسيَّة الَّتي بين الإيمان والكفر، فالكافرون كانوا يقولون هو قولُ كاهن، هو قولُ شاعر، فأراد نفيَ قولهم، وذلك يحصلُ بصيغة النَّفي، فقال: ما هو كما يقولون، وزادَ، فقال: بل هو وحيٌ[2]، ولذا بعد أن زكّى سبحانه الدّافع، بقوله: ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلۡهَوَىٰٓ﴾، ثبَّته أنَّه وحيٌ بأقوى حالاتِ الإثبات بقوله: ﴿إِنۡ هُوَ إِلَّا وَحۡيٞ يُوحَىٰ﴾.

عود الضَّمير ﴿هُوَ﴾، وفائدة استحضاره:

تـوكـيـدُ أنَّ ما ينطقُ به رسولُ الـلـه مـن قـرآنٍ وغـيره وحـيٌ من الله

ضَميرُ ﴿هُوَ﴾ عائدٌ إلى المَنطوقِ به، المأخوذِ من فعلِ ﴿يَنطِقُ﴾ من القرآن وبيانه، وكلِّ أقوالهِ ﷺ وأفعاله وأحوالِ بيانه[3]، ويَجوزُ أن يَعودَ الضَّميرُ إلى مَعلوم مِن سياقِ الرَّدِّ عليهم، وهو القرآن، والمعنى: ما القرآن إلّا وحيٌ؛ لأنَّهم زَعَموا في أقوالِهم المَردودةِ بقَولِه: ﴿مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمۡ وَمَا غَوَىٰ﴾، أنَّ القُرآنَ سِحر، أو شِعر، أو كِهانة، أو أساطير الأوَّلينَ، أو إفْك افتراهُ[4]، وهذا على قولِ مَن قالَ: النَّجم ليس المراد منه القرآن، وأمّا على قولِ من يقولُ: هو القرآن؛ فهو عائدٌ إلى المذكور[5].

وفائدةُ استحضاره هي إفادةُ توكيدِ كونِ ما ينطقُ به رسول الله من قرآن وسنَّة، أو ما هو معلومٌ من السّياق، وهو القرآن وحيًا من الله، ليس غير ذلك.

(1) الفخر الرازي، مفاتيح الغيب: 28/ 235.
(2) الفخر الرازي، مفاتيح الغيب، ص: 28، 237.
(3) البقاعي، نظم الدرر: 19/ 43.
(4) ابن عاشور، التّحريرُ والتّنوير: 27/ 94.
(5) الفخر الرازي، مفاتيح الغيب: 28/ 235.

بلاغةُ الاستثناء بـ﴿إِلَّا﴾:

الحصرُ أصرحُ وأدفعُ لإنكارهم البالغ

الاستثناءُ بـ﴿إِلَّا﴾ في قوله: ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ﴾ أفادَ معنى الحصر؛ لأنَّه سُبِق بنفي، والمعنى: ما القرآنُ أو ما ينطقه النَّبيُّ ﷺ إلّا وحيٌ، وليس شيئًا آخر، أي: حصرَ الَّذي يتكلَّم به النَّبيُّ ﷺ من القرآن وبيانه وكلِّ أقواله بالوحي من الله تعالى، فكان هذا الحصرُ أصرحَ وأدفعَ لإنكارهم البالغ[1].

دلالةُ التَّعبير بالمصدر ﴿وَحْيٌ﴾:

كـلُّ مـا ينطقه النَّبـيُّ ﷺ من الـقـرآنِ وغـيره وحـيٌ مـن الله تعالى

الوحيُ يحتملُ أن يكون اسمًا، ويحتملُ أن يكون مصدرًا، فإنَّ الوحي اسمٌ معناه الكتاب، ومصدرٌ له معانٍ منها الإرسال والإلهام والكتابة والكلام والإشارة والإفهام، فإن قلنا: ﴿هُوَ﴾ ضميرُ القرآن، فالوحيُ: اسمٌ معناه الكتاب، كأنَّه يقول: ما القرآن إلّا كتابٌ، و﴿يُوحَىٰ﴾ بمعنى: يُرسَل، ويحتملُ على هذا أيضًا أن يُقال: هو مصدر، أي: ما القرآن إلّا إرسالٌ وإلهام، بمعنى المفعول، أي: مرسَل، وإن قلنا: المراد من قوله: ﴿إِنْ هُوَ﴾ قوله وكلامه، فالوحي حينئذٍ هو الإلهام، ملهَمٌ من الله، أو مرسل[2]، وعلى الاحتمالين فالتَّعبيرُ بالاسم أو المصدر فيه تأكيدٌ على أنَّ القرآنَ وكلَّ ما ينطقه النَّبيُّ ﷺ هو وحيٌ من الله؛ إرسالًا أو كتابةً أو إلهامًا أو إشارةً أو إفهامًا.

سرُّ التَّعبيرِ بالفعل ﴿يُوحَىٰ﴾ مضارعًا:

مـا يَـنـطِـقُ به النَّبيُّ من القرآن مُـتـجـدِّدٌ وحْـيُـه غيرُ مُنقطِعٍ

التَّعبيرُ بصيغة المُضارِع ﴿يُوحَىٰ﴾ تدلُّ على أنَّ ما يَنطِقُ به من القرآن مُتجدِّدٌ وحْيُه غيرُ مُنقطِعٍ[3]، أي: يُجدَّدُ إلى النَّبيِّ ﷺ إيحاؤه من اللهِ وقتًا بعد وقتٍ، ويَجوزُ أن يَجْتَهِدَ ﷺ ، فإذا استَقَرَّ اجتِهادُهُ عَلى شَيءٍ؛ أوحيَ إلَيهِ أنَّكَ قَد أصَبتَ الحَقَّ[4].

(1) البقاعي، نظم الدرر: 19/ 43.
(2) الفخر الرازي، مفاتيح الغيب: 28/ 235.
(3) أبو السعود، إرشاد العقل السليم: 8/ 155، وابن عاشور، التّحريرُ والتّنوير: 27/ 95.
(4) البقاعي، نظم الدرر: 19/ 43.

نكتةُ حذف فاعل ﴿يُوحَىٰ﴾:

تُرِكَ فاعلُ ﴿يُوحَىٰ﴾؛ لضرْبٍ مِن الإجمالِ الَّذي يَعقُبُه التَّفصيلُ؛ لأنَّه سيَرِدُ بعْدَه ما يُبيِّنُه مِن قولِه: ﴿فَأَوْحَىٰٓ إِلَىٰ عَبْدِهِۦ مَآ أَوْحَىٰ﴾[1].

وجهُ حذف متعلَّقِ ﴿يُوحَىٰ﴾:

مُتعلَّقُ ﴿يُوحَىٰ﴾ مَحذوفٌ، تَقديرُه: يوحى إليه، أي: إلى صاحِبِكم[2]، وتكمنُ نكتةُ الحذف في الاختصار؛ لأنَّه مفهومٌ من سياقِ الكلام.

فـي الـحـذفِ اختصارٌ مفهومٌ من السّياق

توجيهُ الوصف بجملة ﴿يُوحَىٰ﴾:

جُملةُ ﴿يُوحَىٰ﴾ في قوله تعالى: ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ﴾ صفةٌ مؤكِّدةٌ لـ﴿وَحْيٌ﴾[3]، رافعةٌ لاحتمالِ المجازِ، أي: هو وحيٌ حَقيقةً لا مُجرَّدُ تَسميةٍ، كقَولِك: هذا قَولٌ يُقالُ[4]، مفيدةٌ للاستمرارِ التَّجدُّديِّ[5].

صفةٌ تؤكِّدُ أنَّه وحيٌ حَقيقةً لا مُجرَّدُ تَسميةٍ

بلاغة التَّوكيد بجملة: ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ﴾:

اجتمعَ في جُملة: ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ﴾ عدَّةُ مؤكِّدات، وهي: ﴿إِنْ﴾ النافية؛ إذ تُفيدُ الاستغراقَ والتَّأكيدَ على أنَّ ما بعدها هو الحقيقةُ الثابتة، والضميرُ ﴿هُوَ﴾ الَّذي فصلَ بين ﴿إِنْ﴾ النافية وما بعدها؛ ليؤكِّد أنَّ المنطوقَ المعنيّ، وهو القرآن ليس إلّا شيئًا محدَّدًا، وهو الوحيُ من الله، وأداةُ الاستثناء ﴿إِلَّا﴾ الَّتي أفادتْ مع ﴿إِنْ﴾ النافية الحصرَ الكامل، ومجيءُ جملة ﴿يُوحَىٰ﴾ صفةً مؤكِّدة؛ لكون الوحي من الله وحده.

ليس للنَّبيِّ من قولٍ إلّا ما يوحى إليه

بلاغةُ الاستئناف في جملة: ﴿عَلَّمَهُۥ شَدِيدُ ٱلْقُوَىٰ﴾:

جاءت جُملةُ: ﴿عَلَّمَهُۥ شَدِيدُ ٱلْقُوَىٰ﴾ استِئنافًا بَيانيًّا؛ لبَيانِ كَيفيَّةِ الوحْيِ[6]، الَّتي يوحي بها إلى النَّبيِّ ﷺ بالتَّساؤل عنها في

بيانُ الكيفيَّةِ الَّتي يوحي بها إلى النَّبيِّ ﷺ

(1) ابن عاشور، التّحريرُ والتّنوير: 27/ 95.
(2) ابن عاشور، التّحريرُ والتّنوير: 27/ 95.
(3) البقاعي، نظم الدرر: 19/ 43، وابن عاشور، التّحريرُ والتّنوير: 27/ 95.
(4) السمين الحلبي، الدر المصون: 10/ 84، وابن عادل، اللباب في علوم الكتاب: 18/ 157.
(5) أبو السعود، إرشاد العقل السليم: 8/ 155.
(6) ابن عاشور، التّحريرُ والتّنوير: 27/ 95.

قولِه تعالى: ﴿يُوحَىٰ﴾، أي: كأنَّ سائلًا قد سأل: وكيف يوحى؟ وما صفاتُ الملَكِ جبريل عليه السلام؟ فقال سبحانه مُبَيِّنًا له بأوصافِه: ﴿عَلَّمَهُۥ شَدِيدُ ٱلْقُوَىٰ﴾[1].

سرُّ التَّعبير بالفعل (علَّم) دلالة وصيغة:

في قوله تعالى: ﴿عَلَّمَهُۥ شَدِيدُ ٱلْقُوَىٰ﴾ عبَّر البيانُ القرآنيُّ بلفظ (علَّم) دون غيره؛ للدَّلالة على أنَّ الوحي الَّذي كان ينزلُ به جبريلُ على النَّبيِّ ﷺ ليس مجرَّد كلام يُنقلُ، بل هو علمٌ يُفهم، ويُدرك، ويُحفظ، ويُطبَّق، فالعلمُ هو المعرفةُ وإدراكُ الشَّيء بحقيقته، وعَلِمه: عَرَفَهُ حَقَّ المعرفة[2]، وهكذا ينبغي أن يكون القرآنُ عند المسلمين؛ للعلم والتَّعلُّم والمدارسة والإتقان، وليس لمجرَّد القراءة والنَّقل.

الـوحـيُ ليس مجرَّد كلامٍ يُنقلُ بل علمٌ يُفهمُ، ويُـــدرك دون نقصٍ أو خلل

العلمُ كلُّهُ من الله تعالى وما جبريلُ إلّا وسيطٌ.

وفي التَّعبير بالعلم أيضًا دلالة على أنَّ هذا العلم من الله أصلًا، وجبريل عليه السلام هو الوسيطُ في إبلاغِ الوحي، وفيه إشارةٌ أيضًا إلى أنَّ العلمَ الإلهيَّ يُؤخذُ بطريقة منهجيَّة متدرِّجةٍ، وليس دفعةً واحدةً؛ ممّا يناسبُ طبيعةَ البشر في تلقّي المعرفة.

وجاء التَّعبيرُ بصيغة الماضي؛ لإفادة التَّحقُّق والوقوع والتَّمام، أي: إنَّ جبريل عليه السلام قد علَّم النَّبيَّ محمَّدًا ﷺ العلمَ الكامل التامَّ المحكم دون نقصٍ أو خلل.

عود الضَّمير في ﴿عَلَّمَهُۥ﴾:

ضَميرُ الغائبِ في ﴿عَلَّمَهُۥ﴾ عائدٌ على الوَحْي، أو على ما عادَ إليه ضَميرُ ﴿هُوَ﴾ من قولِه: ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ﴾، وضَميرُ ﴿هُوَ﴾ يَعودُ على القُرآنِ، وهو المَفعولُ الأوَّلُ لـ(علَّم)، والمفعولُ الثّاني مَحذوفٌ،

جـبريـلُ هـو من عـلَّـمَ الـقـرآنَ للنَّبيِّ ﷺ

(1) البقاعي، نظم الدرر: 19/ 44.

(2) الراغب، المفردات: (علم)، والفيروزابادي، بصائر ذوي التمييز: 4/ 88.

والتَّقديرُ: (علَّمَه إيّاهُ)، يَعودُ على ﴿صَاحِبُكُمْ﴾، ويَجوزُ جَعْلُ هاءِ ﴿عَلَّمَهُۥ﴾ عائدًا على ﴿صَاحِبُكُمْ﴾، والمَحذوفُ عائدٌ على ﴿وَحْيٌ﴾؛ إبطالًا لقولِ المُشركين: ﴿إِنَّمَا يُعَلِّمُهُۥ بَشَرٌ﴾ [النحل: 103][1].

دلالةُ لفظ ﴿شَدِيدُ﴾ معرَّفًا بالإضافة:

عظمةُ المعلِّم (جبريل) ببلوغه القوى الكاملة المطلوبة لمهمَّة الوحي

استعمالُ لفظ الشِّدَّة في قوله تعالى: ﴿عَلَّمَهُۥ شَدِيدُ ٱلْقُوَىٰ﴾ - الَّذي يدلُّ على القوَّةِ والجلادةِ والصَّلابةِ، والإحكام، ونقيضِ اللِّين، وثباتِ القلبِ[2]، مضافًا إلى لفظ القوَّة ﴿ٱلْقُوَىٰ﴾، الَّذي يدلُّ أيضًا على الشِّدَّةِ والقدرة وخِلافِ الضَّعْف[3] - تعبيرٌ عن المبالغةِ في الشِّدَّةِ والقوَّة، وأنَّه بلغَ أعلى درجات القوَّة، لا مجرَّد قوَّة عادية، وأنَّ هذه القوى الَّتي بلغها هي القوى الكاملةُ المطلوبة لمهمَّة الوحي، من قوَّةِ الإدراك والأمانة في التَّبليغ، وقوَّةِ التَّحمُّل وقوَّة التَّنفيذ، فلا يعتريه ضعفٌ أو نقصٌ أو عجز، وفي هذا تأكيد على عظمة المعلم (جبريل) عليه السلام، ممّا يبعثُ في نفسِ النَّبيِّ ﷺ الثِّقةَ والطُّمأنينةَ لقوَّة معلِّمِه، وأنَّ الوحي صادرٌ عن مصدرٍ قويٍّ لا يُغلب، وفي مدحِ المعلِّم مدحٌ للمتعلِّم، "فالتَّعلُّم يشرُفُ بشرفِ المعلَّم"[4].

نكتةُ تعريف ﴿ٱلْقُوَىٰ﴾ وجمعها:

كمالُ قوَّةِ جبريل عليه السلام بإحاطته بجميعِ أنواعِ القدرةِ لتنفيذِ رسالة الوحي

في تعريف ﴿ٱلْقُوَىٰ﴾ دلالةٌ على الكمال، فجبريلُ عليه السلام قد حازَ أعلى مراتب القوَّة المختصَّة بالوحي، فكأنَّ القوى الأخرى ناقصة بالنِّسبة إليها، "وأتى بلفظ الجمع، وعرَّفها تعريفَ الجنس؛ تنبيهًا على أنَّه إذا اعتبر بهذا العالم وبالَّذينَ يعلمهم، ويفيدهم، هوَ كثير القوى عظيم القدرة"[5]، أي: دلَّ الجمع على تعدُّد هذه القوى

(1) ابن عاشور، التّحريرُ والتّنوير: 27/ 95.
(2) الخليل، العين، وابن فارس، مقاييس اللغة، وابن منظور، لسان العرب: (شدد).
(3) ابن فارس، مقاييس اللّغة، والراغب، المفردات: (قوي).
(4) الشعراوي، خواطر الشعراوي، ص: 14675.
(5) حاشيتا القونوي وابن التمجيد على تفسير البيضاوي: 18/ 270.

وكثرتها، فهي تشملُ قوَّةَ الإدراك، وقوَّةَ الأمانة، وقوَّةَ الرّوح، وقوَّةَ ذكاءٍ في الاستقبال، وقوَّةً في الحفظ، وقوَّةً في التَّبليغ والأداء، وفي الإرسال والإلقاء، وفي جميع أنواع القدرات الَّتي تناسبُ مهمَّته، وتتطلَّبها رسالةُ الوحي[1]، فالمُرادُ بـ﴿ٱلۡقُوَىٰ﴾ استِطاعَةُ تَنفيذِ ما يَأمُرُ اللّه به مِنَ الأعمال العَظيمة العقليَّة والجسمانيَّةِ، فهو المَلَكُ الَّذي يَنْزِلُ على الرُّسلِ بالتَّبليغِ[2].

دلالةُ تعديد الوصف بجملة ﴿ذُو مِرَّةٍ﴾:

الزّيادةُ في بيانِ ما اختصَّ اللهُ به جبريلَ من صفاتٍ عظيمة

المِرَّةُ: تُطلَقُ على قوَّةِ الذّاتِ، وتُطلَقُ على مَتانةِ العقْلِ وأصالته، وعلى كمالٍ في العقل والدّين معًا، وعلى المنظرِ والهيبة العظيمة، وعلى الخُلق الحسن، والوصفُ بقوله: ﴿ذُو مِرَّةٍ﴾ - بما يتضمَّنه من المعاني - زيادةٌ في بيانِ ما اختصَّ اللّهُ به جبريلَ من صفاتٍ عظيمة، إلّا ما كان من المعنى الأوَّل، فإنَّه على اعتبارِ أنَّ إفرادَ قوَّةٍ بالذِّكرِ رُبَّما يكون؛ لبيانِ أنَّ قوى جبريل المَشْهورَةَ شَديدةٌ، وله قوَّةٌ أُخْرى خَصَّهُ اللّه بها، يُقال: فُلانٌ كثيرُ المالِ، وله مالٌ لا يَعْرِفُهُ أحَدٌ، أو على تقدير: عَلَّمَهُ مَن قواهُ شَديدَةٌ وفي ذاتِهِ أيْضًا شِدَّةٌ، فإنَّ الإنسانَ رُبَّما تَكونُ قواهُ شَديدَةً وفي جِسْمِهِ صِغَرٌ وحَقارَةٌ ورَخاوَةٌ[3].

وجهُ التَّعبير بلفظ ﴿مِرَّةٍ﴾ نكرةً:

قوَّةُ جبريل عليه السلام هائلةٌ لا تُضاهى غيرُ مألوفة وغيرُ معروفة سابقًا

التَّعبيرُ بالنَّكرة ﴿مِرَّةٍ﴾ في قوله تعالى: ﴿ذُو مِرَّةٍ﴾؛ للتَّفخيم والتَّعظيم والتَّهويل لهذه الصِّفة، وللإشارة إلى أنَّها قوَّةٌ هائلةٌ لا تُضاهى، خارقةٌ غير مألوفة وغير معروفة سابقًا، وكذلك للتَّنويع بين المعرفةِ والنَّكرة، فقد جاءتْ صفة ﴿شَدِيدُ ٱلۡقُوَىٰ﴾ معرفة، وفي هذا إظهارٌ لجوانب مختلفة من عظمةِ قوَّة جبريل عليه السلام، وتَخصيصُ

(1) الشعراوي، خواطر الشعراوي، ص: 14675.
(2) ابن عاشور، التّحريرُ والتّنوير: 27/ 95.
(3) الفخر الرازي، مفاتيح الغيب: 28/ 238.

جبريلَ بوصف ﴿مِرَّةٍ﴾ يُشعِرُ بأنَّه الملَكُ الَّذي يَنزِلُ بفُيوضاتِ الحِكمةِ على الرُّسلِ والأنبياءِ[1].

سرُّ تقديم القوَّة العلميَّة على الجسميَّة:

أساسُ مهمَّة جبريل ﷺ العلمُ والتَّبليغ، فالقوَّةُ الجسديَّة تابعةٌ له

على تفسير ﴿شَدِيدُ ٱلْقُوَىٰ﴾ بقوَّة جبريل في علمه، وتفسير ﴿ذُو مِرَّةٍ﴾ بشدَّة في جسمه، يكون قد قدَّم القوَّةَ العلميَّة على الجسميَّة، كما قال تعالى: ﴿وَزَادَهُۥ بَسْطَةً فِى ٱلْعِلْمِ وَٱلْجِسْمِ﴾ [البقرة: 247][2]، وفي هذا التَّقديم إعلاءٌ لشأن العلم الرّوحيِّ على القوَّة المادّيَّة، فأساسُ مهمَّة جبريل ﷺ هو العلمُ والتَّبليغ، والقوَّة الجسديَّة تابعةٌ له، فبدأ بالأهمِّ، وهو القوَّة العلميَّة.

معنى الفاء في قوله: ﴿فَٱسْتَوَىٰ﴾:

رسالاتُ الله تعالى العظيمة منوطةٌ بذوي العزيمة والقدرة على الخوارق

الفاءُ في قوله تعالى: ﴿فَٱسْتَوَىٰ﴾ عاطفةٌ تفيدُ التَّفريع، فقوله: ﴿فَٱسْتَوَىٰ﴾ مُفرَّعٌ على ما تَقدَّمَ مِن قولِه: ﴿عَلَّمَهُۥ شَدِيدُ ٱلْقُوَىٰ﴾ بطَريقِ التَّفسيرِ، والفاءُ لتَفصيلِ ﴿عَلَّمَهُۥ﴾[3]، فإنَّه إلى قولِه تعالى: ﴿مَآ أَوْحَىٰ﴾ بيانٌ لكيفيَّةِ التَّعليم، أي: فاستقامَ جبريل على صورتِه الَّتي خلَقَه اللهُ تعالَى عليها دونَ الصّورةِ الَّتي كانَ يَتمثَّلُ بها؛ كلَّما هبَطَ بالوحْيِ، أو أنَّها تفيدُ معنى السَّببيَّة، فإنَّ تشكُّله ﷺ بشكلِه يتسبَّبُ عن قوَّته وقدرته على الخوارق، والمعنى: استوَى بقوَّتِه، أي: قامَ بعزيمةٍ لتلقّي رسالةِ اللهِ على ما جُعِلَ له مِن الأمرِ[4]، أو استقامَ، واعتدلَ بغاية ما يكون من قوَّته على أكملِ حالاته في الصّورة الَّتي فُطِرَ عليها[5].

مرجعُ الضَّمير في قوله: ﴿فَٱسْتَوَىٰ﴾:

استيفاءُ الصِّفات المؤهِّلة لوظيفة الوحي تمكينٌ من القيام بها على الوجه الأكمل

الضَّميرُ في فعل ﴿فَٱسْتَوَىٰ﴾ يعودُ إلى جبريل، أي: فاستقامَ

(1) ابن عاشور، التّحريرُ والتّنوير: 27/ 96.
(2) الفخر الرازي، مفاتيح الغيب: 28/ 238.
(3) ابن عاشور، التّحريرُ والتّنوير: 27/ 96.
(4) أبو السعود، إرشاد العقل السليم: 8/ 155، والآلوسي، روح المعاني: 14/ 47.
(5) البقاعي، نظم الدرر: 19/ 45.

جبريل، واعتدلَ بغاية ما يكون من قوَّته على أكملِ حالاته في الصّورة الَّتي فُطِرَ عليها[1]، أي: إنَّ جبريلَ بهذه الصِّفات، الَّتي أقامَ اللّه ﷻ خلقَه عليها، قد استوى، أي: استوفى الصِّفاتِ الَّتي تؤهِّله لهذه الوظيفة، والَّتي تمكِّنه من القيام بها على الوجه الأكمل[2].

ويحتملُ أن يعودَ الضَّمير على النَّبيِّ ﷺ أي: "علَّمه جبريلُ حتى استوى رسولُ اللّهِ، ونضجَ في عمليَّة التَّحصيل الكافي لهداية العالم، فحمَّله هذه المهمَّة؛ ليهديَ النّاس"[3].

دلالة التَّعبير بالماضي ﴿فَٱسۡتَوَىٰ﴾:

معنى استوى: قامَ جبريلُ بعزيمةٍ لتلقّي رسالةِ اللّه حالَ كونه بالأفق الأعلى، وقد آثرَ البيانُ القرآنيُّ الإخبارَ عنه بصيغة الماضي؛ لأنَّه حدثٌ وقعَ قبل زمنِ إنزالِ الآيات، وللدَّلالة على التَّحقُّقِ والتَّمام، ممّا يؤكِّدُ أنَّ ظهورَ جبريل عليه السلام كان حدثًا واقعيًّا وليس تخيُّلًا أو حلمًا، وأنَّه مكتملٌ في خَلقه وهيئته لا نقصَ فيه، وهذا يزيدُ في تعظيمِ شأنِ جبريل عليه السلام، ويبعثُ الطُّمأنينةَ في قلبِ النَّبيِّ ﷺ.

ظهورُ جبريل عليه السلام مكتملًا في خَلقه وهيئته حدثٌ واقعيٌّ

معنى الواو في قوله: ﴿وَهُوَ بِٱلۡأُفُقِ﴾:

الواو في قوله تعالى: ﴿وَهُوَ بِٱلۡأُفُقِ﴾ حاليَّة، والمعنى: فاستوى جبريلُ والحالُ أنَّه بالأفق الأعلى[4]، أو استوى جبريلُ عليه السلام معه ﷺ بالنّاحية الَّتي هي النِّهاية في العلوِّ والفضل من السَّماوات، باعتبار كون الضَّمير المنفصل (هو) للنَّبيِّ ﷺ.

استوى جبريلُ معه ﷺ بالنّاحية الَّتي هي النِّهاية في العلوِّ والفضل من السَّماوات

عودُ ضمير الفصل (هو) وسرُّ تكراره:

المشهورُ أنَّ (هو) في قوله تعالى: ﴿وَهُوَ بِٱلۡأُفُقِ ٱلۡأَعۡلَىٰ﴾ ضميرُ جبريل، وتقديره: استوى، كما خلقه اللّهُ تعالى بالأفق الشَّرقيِّ -

(1) البقاعي، نظم الدرر: 19/ 45.
(2) الخطيب، التفسير القرآني للقرآن: 14/ 589.
(3) الشعراوي، خواطر الشعراوي، ص: 14676.
(4) أبو السعود، إرشاد العقل السليم: 8/ 155، وابن عاشور، التّحريرُ والتّنوير: 27/ 96.

قبل أن ينزلَ إلى العالم الأرضيِّ - فسدَّ المشرقَ لعظمته، وجوَّزوا أن يكونَ الضميرُ المنفصل للنَّبيِّ ﷺ أي: استوى جبريلُ عليه السلام معه ﴿بِٱلْأُفُقِ ٱلْأَعْلَىٰ﴾، أي: النّاحية الَّتي هي النِّهاية في العلوِّ والفضل من السَّماوات؛ مناسبةً لحالة هذا الاستواء، والمعنى: استوى جبريلُ بمكان، والنَّبيُّ ﷺ بالمكان العالي رتبةً ومنزلةً في رفعة القَدْر[1].

المكان العالي رتبةً ومنزلة تليق بمقامهما العالي

معنى الباء في ﴿بِٱلْأُفُقِ﴾:

الباءُ في قوله تعالى: ﴿بِٱلْأُفُقِ ٱلْأَعْلَىٰ﴾ ظرفيَّة، بمعنى (في)، والمعنى: "فاستوى له في الأفق الأعلى، وهو أفقُ الشَّمس، فملأ الأفق"[2]، واستعمالُ الباء بدلَ (في)؛ للدَّلالة على ثبوتٍ أقوى، فكأنَّ جبريلَ متمكِّنٌ ومستقرٌّ في الأفقِ الأعلى، لا مجرَّد مرور فقط.

ثبات مقام جبريل في الأفق الأعلى

دلالة تعريف (الأفق):

لامُ تعريف الأفق في قوله تعالى: ﴿وَهُوَ بِٱلْأُفُقِ ٱلْأَعْلَىٰ﴾ عهديَّةٌ، معهودها معلومٌ في الذِّهن، تشيرُ إلى أفقٍ مخصوصٍ معهودٍ، له شأنٌ في سياق الرُّؤية العظيمة، فالأفقُ "اسمٌ للجوِّ الَّذي يبدو للنّاظر ملتقى بين طرفِ منتهى النَّظر من الأرض، وبين منتهى ما يلوحُ كالقبَّة الزَّرقاء، وغلبَ إطلاقه على ناحيةٍ بعيدة عن موطنِ القوم، ومنه أفقُ المشرق وأفقُ المغرب"[3].

في تعيينِ مقامِ الرُّؤية تعظيمٌ للمشهد

نكتةُ وصف (الأفق) بالأعلى:

في وصْفِ الأفقِ بالأعْلى في قوله تعالى: ﴿وَهُوَ بِٱلْأُفُقِ ٱلْأَعْلَىٰ﴾ إفادةُ أنَّه ناحيةٌ من جَوِّ السَّماء، أي: "احترازٌ عن أفقِ الأرض، والمُراد الجهةُ العليا مِنَ السَّماء المقابلة للنّاظر"[4]، وذُكِرَ هذا؛ ليُرتَّبَ عليه

في وصْفِ الأُفق بالأعلى احترازٌ عن أفقِ الأرض

(1) الفخر الرازي، مفاتيح الغيب: 28/ 238، والبقاعي، نظم الدرر: 19/ 45.
(2) الزمخشري، الكشاف: 4/ 419، والبيضاوي، أنوار التنزيل: 5/ 157.
(3) ابن عاشور، التّحريرُ والتّنوير: 27/ 96.
(4) حاشيتا القونوي وابن التمجيد على تفسير البيضاوي: 18/ 272.

قولُه: ﴿ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ﴾[1]، وفيه بيانٌ لعظمة جبريل ومكانته ورسالته، فجبريلُ في أعلى أفقٍ ممكنٍ للرُّؤية البشريَّة، والنَّبيُّ رآه في أشرفِ المواضع وأعلاها رؤيةً لا يلوِّثها الشَّكُّ أو الوهم، بل كانت صفاءً خالصًا بين رسولين كريمين.

وإنْ كان الضَّميرُ (هو) عائدًا على رسولِ الله ﷺ فيكون وصفُ الأفق بالأعلى، أي: بالمكان العالي رتبةً ومنزلةً في رفعةِ القدر، لا حقيقة في الحصول في المكان[2].

بلاغة الوصل بـ﴿ثُمَّ﴾:

بعد الاستواءِ العظيم دنا جبريلُ من الجنابِ الأقدسِ دنوَّ زيادةٍ في كرامةٍ لا دنوَّ مسافةٍ

﴿ثُمَّ﴾ في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ﴾ عاطفةٌ على جُملةِ: ﴿فَٱسْتَوَىٰ ۝٦ وَهُوَ بِٱلْأُفُقِ ٱلْأَعْلَىٰ﴾، وتفيد التَّراخي الرُّتبيَّ؛ لأنَّ الدُّنوَّ إلى حيثُ يَبلُغُ الوحيُ هو الأهمُّ في هذا المقام، ولأنَّ دُنوَّ جبريل إلى العالَم الأرضيِّ لم يكن بعد الاستواء مباشرةً، وإنَّما بعد أن تلقَّى ما يُبلِّغُه إلى الرَّسولِ ﷺ[3]، وأمّا إن فُسِّرَ ﴿دَنَا﴾ بدنوِّ جبريل من الحضرة الإلهيَّة - الَّتي هي مهيَّأةٌ لتلقّي الوحي، فإنَّ ﴿ثُمَّ﴾ تفيدُ التَّراخي الحقيقيَّ، والمعنى: بعد ذلك الاستواءِ العظيم دنا جبريلُ من الجنابِ الأقدسِ دنوَّ زيادةٍ في كرامةٍ لا دنوَّ مسافة، فأخذ الوحيَ الَّذي أذنَ له في أخذه، فتدلّى عقبَ ذلك من اللّه رسولًا إلى صاحبكم[4]، وكذا لو فُسِّرَ الدُّنوُّ بإرادةِ الدُّنوِّ، بحيث يكون المعنى: فاستقامَ جبريلُ على صورته الَّتي خلقه اللّهُ تعالى عليها سادًّا أفقَ الشَّمس، ثُمَّ أرادَ الدُّنوَّ من النَّبيِّ عليهما الصَّلاةُ والسَّلامُ، فاسترسلَ من الأفقِ الأعلى[5].

(1) ابن عاشور، التّحريرُ والتّنوير: 27/ 96.
(2) الفخر الرازي، مفاتيح الغيب: 28/ 238.
(3) ابن عاشور، التّحريرُ والتّنوير: 27/ 96.
(4) البقاعي، نظم الدرر: 19/ 45.
(5) أبو السعود، إرشاد العقل السليم: 8/ 155.

دلالةُ فعل الدُّنوّ ماضيًا:

دنـوُّ جبريل من النَّبيِّ ﷺ كان دنوًّا حقيقيًّا

عبَّر البيانُ الإلهي بصيغة الماضي ﴿دَنَا﴾ في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ﴾؛ للدَّلالة على أنَّه حدثٌ تحقَّقَ، ووقع، فالدُّنوُّ ليس حالةً مستمرَّةً متكرِّرة؛ إذ الآيةُ تتحدَّثُ عن واقعةٍ تاريخيَّة مضتْ، وانقضتْ، وفي هذا إثباتٌ لحقيقةِ الوحي، وأنَّ دنوَّ جبريلَ ﷺ من النَّبيِّ ﷺ لتبليغه الرِّسالة كان دنوًّا حقيقيًّا.

توجيهُ العطف بالفاء:

فاءُ ﴿فَتَدَلَّىٰ﴾ في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ﴾ عاطفةٌ[1]، والمعطوفُ عليه إمّا محذوفٌ عند من فسَّر ﴿دَنَا﴾ بأنَّه دنوُّ جبريل من الحضرةِ الإلهيَّة، والتَّقدير: دنا جبريلُ من الجناب الأقدس، فأخذَ الوحيَ الَّذي أُذِنَ له في أخذه، فتدلّى عقبَ ذلك من الله رسولًا إلى صاحبكم[2]، وهي هنا للتَّرتيب والتَّعقيب والسَّببيَّة، فأخْذُ جبريل للوحي سببٌ في تبليغه، أو أن يكونَ المعطوفُ عليه هو فعلُ ﴿دَنَا﴾، والفاءُ تفيدُ التَّرتيبَ الزَّمنيَّ والتَّعقيب والسَّببيَّة، فتدلّي جبريل ﷺ من النَّبيِّ ﷺ، أي: زيادته في القرب جاءتْ مباشرة بعد دنوِّه منه[3]، أو أن تكون الفاءُ من بابِ عطف الخاصِّ على العامِّ؛ لأنَّ ﴿دَنَا﴾ أعمُّ مِن (تدلّى)، فبيَّن هيئةَ الدُّنوِّ كيف كانت قابَ قوسين أو أدنى[4].

دلالةُ فعل التَّدلّي ماضيًا:

حقيقةُ الوحي وتاريخيَّته يناسبهُ الفعل الماضي

في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ﴾ جاءَ التَّعبير بفعل ﴿فَتَدَلَّىٰ﴾ بصيغة الماضي؛ تناسبًا مع الفعل المعطوف عليه ﴿دَنَا﴾، وكذلك للدَّلالة على أنَّ فعل التَّدلّي حدثٌ تحقَّقَ، ووقعَ، ومضى، فالآيةُ

(1) درويش، إعراب القرآن وبيانه: 9/ 346.
(2) البقاعي، نظم الدرر: 19/ 45.
(3) النسفي، مدارك التنزيل: 3/ 390.
(4) أبو حيان، البحر المحيط: 10/ 11.

تتحدَّثُ عن حقيقةٍ تاريخيَّة، وهي حقيقةُ الوحي، ولذا ناسبَ مجيء معظم الأفعال في السّياق بصيغة الماضي.

فنُّ القلب في الآية:

في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ﴾ فنُّ القلب، وهو من المقلوب الَّذي تقدَّمَ فيه ما يوضِّحه التَّأخُّر، وتأخَّر ما يوضِّحه التَّقديم، أي: تدلّى، فدنا؛ لأنَّه تدلّى للدُّنوِّ، ودنا بالتَّدلّي[1]، وهذا عند مَن عدَّ الدُّنوَّ من جبريل عليه السلام إلى النَّبيِّ ﷺ، لا إلى اللهِ سبحانه، وعند مَن لم يعدَّ الدُّنوَّ أعمَّ مِن التَّدلّي[2]، وتكمنُ بلاغةُ هذا القلب فيما يُحدثه من تشويق؛ إذ بدأتِ الآية بالفعل الأعظم أثرًا على السّامع، وهو (الدُّنوُّ)، ثم أُتبِعت بالوسيلة إليه (التَّدلّي)؛ لتُحدثَ تشويقًا بصريًّا ومعنويًّا في التَّصوُّر.

في تقدُّم الأثر، وهو الدُّنوُّ إثارةٌ للتَّصوُّر وتصويرٌ لعظمة المشهد

بلاغةُ وصل الآية بالفاء:

فاءُ ﴿فَكَانَ﴾ في قوله تعالى: ﴿فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ﴾سببيَّة، أي: إنَّ ما وقع بعد ﴿فَتَدَلَّىٰ﴾ من دنوِّ جبريل عليه السلام من النَّبيِّ ﷺ يُؤدّي إلى النَّتيجةِ الَّتي تمَّ ذكرها، وهي ﴿فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ﴾.

نكتةُ التَّعبير بفعل الكينونة الماضي:

التَّعبيرُ بفعل الكينونة الماضي في قوله تعالى: ﴿فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ﴾ يدلُّ على حالةٍ ثابتةٍ أو مستمرَّةٍ من قربِ جبريل من النَّبيِّ ﷺ وليس مجرَّد لحظةٍ أو حالةٍ عابرة رأى فيها النَّبيُّ جبريل قريبًا منه، بل كان دنوًّا ثابتًا ومستمرًّا، كما لو أنَّ المسافة بينهما أصبحت ثابتةً في تلك اللَّحظة، وهذا يعكسُ ثباتَ العلاقةِ الوثيقة بين النَّبيِّ ﷺ والوحي.

إضفاءُ الثَّباتِ والاستمراريَّة واليقينِ في دنوِّ جبريل من النَّبيِّ ﷺ

وفي كونه ماضيًا دلالةٌ على تأكيدِ وقوعِ هذا الحدث الجليل؛ لأنَّ الفعلَ الماضي يُستَعملُ لتأكيدِ وقوعِ الحدث في زمنٍ محدَّد، وفيه

(1) درويش، إعراب القرآن وبيانه: 9/ 347.
(2) أبو حيان، البحر المحيط: 10/ 11.

دلالةُ حسم، فدنوُّ جبريل لم يكن مجرَّدَ حالةٍ ممكنة أو محتملة، بل كان واقعًا أكيدًا ومؤكَّدًا، ولو استعمل الفعل المضارع مثل (يكون)؛ لأوحى بشيء من التَّردُّد أو الاحتمال.

بلاغةُ التَّشبيه والكناية في قوله: ﴿قَابَ قَوْسَيْنِ﴾:

تـصـويـرُ شـدَّة القربِ والتَّلاقي بين النَّبيِّ والمَلَك

قابُ القوس: المسافةُ ما بين مقبضِ القوس ووتره، وذلك حين يُشَدُّ القوس لإطلاق السِّهام منه، فيكون أشبهَ بنصف دائرة، وفي التَّعبير به دلالةٌ على شدَّة القرب، وأنَّ المسافة قريبة جدًّا، والسِّرُّ في تشبيه التقاءِ جبريل بالنَّبيِّ ﷺ؛ إذ يكون كلٌّ منهما أشبهَ بقوس مشدودٍ مهيَّأ للرِّماية، يقفُ كلٌّ منهما في مواجهة صاحبه، مشدودًا إليه، حتى يتماسّا عند نهايةِ القاب، الَّذي يبدأُ من مركز الدائرة إلى محيطها، ومن جهةٍ أخرى فإنَّ القوسَ في حال شدَّة، يكون متوتِّرًا واقعًا تحتَ قوَّةٍ مؤثِّرة، تشدُّهُ شدًّا عنيفًا، وكذلك شأنُ كلٍّ من جبريل والنَّبيِّ في حال التقائهما، إنَّهما يتجاذبان جذبًا قويًّا، فجبريلُ يجذبُ نفسه إلى حالٍ بشريَّة، والنَّبيُّ يجذبُ نفسه إلى جهة الملائكة، وهكذا يظلّان يتجاذبان، وقتًا معًا؛ حتّى يتماسّا، كما يتماس وترا القوسين المشدودين، المواجه كلٌّ منهما للآخر، وهنا يتمُّ اللِّقاء والتَّجاوب بينهما[1].

وفي قوله: ﴿فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ﴾ كنايةٌ عن المُعاهَدةِ على لُزوم الطّاعة؛ لأنَّ الحَليفَين في عُرْفِ العربِ؛ إذا تَحالَفا على الوفاءِ والصَّفاءِ؛ أَلْصَقا وتَرَي قَوسَيْهما[2].

بلاغةُ الإيجاز بالحذف في الآية:

في الحذفِ إيجازٌ مـفـهـومٌ مـن السّياق

في قوله تعالى: ﴿فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ﴾ إيجازٌ بالحذْفِ مفهومٌ من السّياق، والتَّقديرُ: فكان مِقدارُ مَسافةِ قُربِه مِثلَ قابِ

(1) الخطيب، التفسير القرآني للقرآن: 14/ 591 - 592.
(2) حاشية ابن المنيِّر على الكشاف: 4/ 420.

قَوسَيْنِ، فحُذِفَت هذه المُضافاتُ[1]، وهي ثلاثةٌ من اسم كان وواحد من خبرها.

توجيهُ العطف بـ﴿أَوۡ﴾:

حرفُ ﴿أَوۡ﴾ في قوله: ﴿أَوۡ أَدۡنَىٰ﴾ ليست للشَّكِّ، وإنَّما للتَّخييرِ في التَّقديرِ، والمعنى: أو أدْنى على تقديركم[2]، أو إن شئتم؛ قدِّروا ذلك القرب بقاب قوسين، وإن شئتم؛ قدِّروه بأدنى منهما[3]، وأضافَ ابنُ عاشور أنَّه مُستعمَلٌ في التَّقريبِ، أي: إن أراد أحدٌ تَقريبَ هذه المسافةِ؛ فهو مُخيَّرٌ بيْنَ أن يَجعَلَها قابَ قوسَينِ أو أدْنى، أي: لا أزيَدَ؛ إشارةً إلى أنَّ التَّقديرَ لا مُبالَغةَ فيه[4]، أي: لتأكيد هذا القرب، وأنَّه بالنِّسبة لمن يرونه تختلفُ عليهم رؤيته، فيراه بعضهم قابَ قوسين، ويراه بعضهم أدنى وأقرب من ذلك[5]، أو هي بمعنى (بل)، أي: بل أدنى[6].

لـشـدَّةِ الـقـرب يُـقـدَّرُ بـقـابِ قوسين، أو يُقدَّر بأقرب منهما

دلالةُ صيغة أفعل التَّفضيل ﴿أَدۡنَىٰ﴾:

﴿أَدۡنَىٰ﴾ في قوله تعالى: ﴿فَكَانَ قَابَ قَوۡسَيۡنِ أَوۡ أَدۡنَىٰ﴾ اسم تفضيل، والمفضَّل عليه محذوفٌ، تقديره: أو أدنى من قاب قوسين[7]، فالمسافةُ في قاب قوسين قريبةٌ، فأتى بلفظ ﴿أَدۡنَىٰ﴾ للتَّأكيد على شدَّة القرب، وأنَّها أقرب من قاب قوسين.

المـسـافـةُ الَّـتـي كانت بين جبريل والـنَّـبـيِّ ﷺ قريبةٌ جدًّا

بلاغةُ الوصل بالفاء في جملة ﴿فَأَوۡحَىٰٓ﴾:

الفاءُ في قوله: ﴿فَأَوۡحَىٰٓ﴾ للتَّفريع، أي: تفرَّعَ قولُه: ﴿فَأَوۡحَىٰٓ إِلَىٰ عَبۡدِهِۦ مَآ أَوۡحَىٰ﴾ على قوله: ﴿فَتَدَلَّىٰ ۝٨ فَكَانَ قَابَ قَوۡسَيۡنِ﴾ المُفرَّعِ على المُفرَّعِ على قَولِه: ﴿عَلَّمَهُۥ شَدِيدُ ٱلۡقُوَىٰ﴾، وهذا التَّفريعُ هو المَقصودُ

تـتـويـجُ مشهدِ الـقـربِ بـبـيـانِ إمكانِ الوحي

(1) الزمخشري، الكشاف: 4/ 420.
(2) البيضاوي، أنوار التنزيل: 5/ 157.
(3) الفخر الرازي، مفاتيح الغيب: 26/ 358.
(4) ابن عاشور، التّحريرُ والتّنوير: 27/ 98.
(5) الخطيب، التفسير القرآني للقرآن: 14/ 592.
(6) درويش، إعراب القرآن وبيانه: 9/ 346.
(7) درويش، إعراب القرآن وبيانه: 9/ 346.

مِن البَيانِ، وما قبْلَه تَمهيدٌ له، وتَمثيلٌ لأحوالٍ عَجيبةٍ بأقرَبِ ما يَفهَمُه النّاسُ؛ لقصْدِ بَيانِ إمكانِ تَلقّي الوحْيِ عن اللّهِ تعالى؛ إذ كان المشرِكون يُحيلونه، فبَيَّنَ لهم إمْكانَ الوحي بوصفِ طريقِ الوحي إجْمالًا، وهو كَيْفيَّةٌ من صور الوَحيِ[1].

بلاغةُ الإيجاز بحذف فاعل (أوْحَى) ومرجع الضَّمير فيه:

التَّركيزُ على إثباتِ الإيحاءِ إبطالٌ لإنكارِهم إيّاه

لم يصرِّح البيانُ القرآنيُّ بالفاعل في قوله تعالى: ﴿فَأَوْحَىٰٓ إِلَىٰ عَبْدِهِۦ﴾؛ إذ التَّقدير: (فأوحى اللّه إلى عَبْدِه محمَّدٍ ﷺ)؛ اختصارًا؛ لأنَّه مَعلومٌ مِن قولِه: ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ﴾، فالإضمارُ كافٍ في هذا المَقام؛ لأنَّ المَقصودَ إثباتُ الإيحاءِ لإبطالِ إنكارِهم إيّاه[2]، ثمَّ إنَّه لم يصرِّحْ بالفاعل لاحتمال أنَّ يكون هو جبريل، والضَّميرُ عائدٌ عليه، والمعنى: فأوحى جبريلُ عليه السلام إلَى عبْدِ اللّه تعالَى ما أوحى[3].

وجه التَّعبير بالفعل الماضي ﴿فَأَوْحَىٰٓ﴾:

حتميَّةُ وقوعِ الوحي للنَّبيِّ تُزيلُ أيَّ شكٍّ في حقيقةِ الوحي

التَّعبيرُ بالفعل الماضي ﴿فَأَوْحَىٰٓ﴾ في الآية يدلُّ على تحقُّق وقوعِ الإعلام للنَّبيِّ ﷺ، من لدن جبريل عليه السلام، في خفاءٍ وبسرعة في زمنٍ ماضٍ محدَّد، ومِن ثمَّ فإنَّ هذه الصّيغة تزيلُ أيَّ شكٍّ، فاللّهُ ﷻ يُبيِّن أنَّ الوحي واقعٌ حتميٌّ تمَّ تبليغه، ويتناسب مع السّياقِ الَّذي يدلُّ على يقينِ ما رأى النَّبيُّ من أحوالِ الوحي، والنَّعي على تشكيكِ الكافرين به، وذلك في قوله تعالى: ﴿مَا كَذَبَ ٱلْفُؤَادُ مَا رَأَىٰٓ ۝١١ أَفَتُمَٰرُونَهُۥ عَلَىٰ مَا يَرَىٰ﴾.

معنى ﴿إِلَىٰ﴾ في قوله: ﴿إِلَىٰ عَبْدِهِۦ﴾:

تخصيصُ الاتِّجاه وتشريفُ العبوديَّة

﴿إِلَىٰ﴾ حرف جرٍّ، ومعناه في الآية انتهاءُ الغاية، وقد عُدّي بالفعل (أوحى)؛ لإفادة معنى انتهاء الوحي ووصوله إلى رسول اللّه ﷺ عن طريق جبريل عليه السلام، فأشارَ إلى جهة الوحي والمستقبل له؛ بأنَّ الوحي

(1) ابن عاشور، التّحريرُ والتّنوير: 27/ 98.
(2) ابن عاشور، التّحريرُ والتّنوير: 27/ 98.
(3) البيضاوي، أنوار التنزيل: 5/ 158، وأبو السعود، إرشاد العقل السليم: 8/ 156.

صادرٌ من جبريل عليه السلام وانتهتْ غايته إلى النَّبيِّ ﷺ، وهذا يدلُّ على غايةِ الإيصال والاتِّجاه، أي: إنَّ الوحي كان مقصودًا مخصوصًا موجَّهًا إلى النَّبيِّ ﷺ لا إلى غيره.

سرُّ التَّعبير بلفظ ﴿عَبۡدِهِۦ﴾ معرَّفًا بالإضافة:

في وصف النَّبيِّ ﷺ بالعبوديَّة لله تشريفٌ وتكريم

إيثارُ التَّعبيرِ عن النَّبيِّ ﷺ بعُنوانِ ﴿عَبۡدِهِۦ﴾ إظْهارٌ في مَقامِ الإضمارِ، فلم يقل: (فأوحى إليه)؛ وذلك لِما في اختِصاصِ الإضافةِ إلى ضَميرِ الجَلالةِ مِن التَّشريفِ والتَّكريم[1]، وفي التَّعبيرِ بلفظ العبوديَّة أيضًا إشارةٌ إلى أنَّه لم يكن أحدٌ ليستحقَّ هذا الأمر العظيم غيره؛ لأنَّه ﷺ لم يتعبَّدْ قطُّ لأحدٍ غير الله، وكلُّ مَن عاداه حصل منهم تعبُّدٌ لغيره، فكان أحقَّ الخلق بهذا الوصف، فقد كان يتعبَّد اللهَ في غار حراء وغيره، وهذه المنزلة كانت على هذا التَّقدير في أوَّل الوحي لَمّا كان بحراء[2].

ولم يقل كذلك: (عبد الله)، أي: أضمرَ الاسم الجليل لغايةِ ظُهورِه، وإن لم يَجْرِ لاسْمِه ﷻ ذِكرٌ؛ لأنَّه لا يُلْبِسُ؛ لِما هو معلوم ممّا تقدَّم من أنَّ كلامَ الله يكون وحيًا بوساطة رسول يوحي بإذنه سبحانه، ولأنَّ المقامَ يناسبُ الإضمار؛ لأنَّ الوحي إلقاءٌ في خفاء[3].

وجهُ استعمال ﴿مَآ﴾ في قوله: ﴿مَآ أَوۡحَىٰٓ﴾:

العمومُ والإبهامُ يفيدان تفخيمَ الوحي وتعظيمه

عبَّر البيانُ القرآنيُّ بـ﴿مَآ﴾ دون (الَّذي)؛ لأنَّها أعمُّ، فتحتملُ أن تكون موصولة أو مصدريَّةً، وهي ومدخولها - على كلِّ حال - في موضع نصب على أنَّها مفعول به على الأوَّل، والتَّقدير: فأوحى إلى عبده وحيه، أو مفعولٌ مطلق على الثَّاني، والتَّقدير: فأوحى إلى عبد الله وحيًا[4].

(1) ابن عاشور، التّحريرُ والتّنوير: 27/ 98.
(2) البقاعي، نظم الدرر: 19/ 46.
(3) البقاعي، نظم الدرر: 19/ 46.
(4) درويش، إعراب القرآن وبيانه: 9/ 347.

وفي التَّعبير بـ﴿مَآ﴾ الموصولة أيضًا إبهامٌ؛ لتَفخيمِ الموحى به الَّذي أوحيَ إليه وتعظيمِه، وأنَّه ممّا يجلُّ عن الوصف، وممّا لا تحصرهُ الأوصاف، كأنَّه أعظَمُ مِن أن يُحيطَ به بَيانٌ[1]، فأبْهَمَ الأمرَ الَّذي أوحاهُ إلى عبدِه، وجعَلَه عامًّا، وذلك أبلَغُ؛ لأنَّ السّامعَ يَذهَبُ وهمُه فيه كلَّ مَذهبٍ[2].

سرُّ تكرارِ الفعل ﴿أَوْحَىٰ﴾:

يُظهر تكرارُ فعلِ ﴿أَوْحَىٰ﴾، في قوله: ﴿فَأَوْحَىٰٓ إِلَىٰ عَبْدِهِۦ مَآ أَوْحَىٰ﴾، التَّأكيدَ على حقيقة الوحي، وما يتضمَّنه من الرِّسالة الخاتمة، وفي هذا التَّأكيد تعظيمٌ لشأن الوحي، ومزيدُ إثباتٍ له، وتشويقٌ للمؤمن للتَّدبُّر في عظمة هذا الوحي.

ترسيخُ حقيقة الوحي تعظيمٌ لشأنِه، وتشويقٌ لتدبُّر عظمته

بلاغةُ الجناس الاشتقاقيِّ في (﴿وَحْيٌ﴾ - ﴿يُوحَىٰ﴾ - ﴿فَأَوْحَىٰٓ﴾):

بين الألفاظ ﴿وَحْيٌ﴾ و﴿يُوحَىٰ﴾ و﴿فَأَوْحَىٰٓ﴾، في قوله تعالى: ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ﴾ جناسُ اشتقاقٍ؛ لتوافق ركني الجناس في الحروف وترتيبها وجمعها؛ إذ ترجعُ الألفاظ إلى جذرٍ لغويٍّ واحد هو (وَحَى)، وفيها كذلك جناسٌ مستوفي؛ لكون ركني الجناس من نوعين مختلفين، فـ﴿وَحْيٌ﴾ أتى اسمًا، و﴿يُوحَىٰ﴾ أتى فعلًا بصيغةِ المضارع، و﴿فَأَوْحَىٰٓ﴾ أتى فعلًا بصيغةِ الماضي، ممّا يعطي جماليَّةً في السَّمعِ، ويحقِّقُ عذوبةً وترنُّمًا، بما يحملُ السّامعَ على الإصغاءِ، ويزيدُ المعنى وضوحًا، ويساعدُ على ترسُّخِه في الذِّهن دفعًا لمركزيَّة إنكاره بوصفه قوام الرِّسالة، ومصدرها الأصيل.

يضفي الجناسُ جمالًا ويحملُ على الإصغاء والتَّدبُّر

❁ الفُروقُ المُعْجَميَّةُ:

الدُّنوّ والقرب:

الدُّنوُّ لا يكونُ إلّا في المسافة بين شيئين، تَقول: دارُه دانية، وأمّا

(1) حاشية ابن المنير على الكشاف: 4/ 420.

(2) درويش، إعراب القرآن وبيانه: 9/ 347.

القربُ؛ فهو عامٌّ، يكونُ في ذلك وفي غيره، تَقول: قُلوبنا تتقاربُ، ولا تَقول: تتدانى[1]، ومن الفروق أيضًا أنَّ الدُّنوَّ هو القربُ بالذّات، أو بالحكم، ويُستَعملُ في المكان والزَّمان والمنزلة[2]، والأصلُ في الدُّنوِّ أن يكونَ إلى سُفْل، ومن هنا استُعْمِلَ الدُّنوُّ في الهبوطِ المعنويِّ (قلَّة قيمة الشَّيء)[3]، أي: الدُّنوُّ يدلُّ على القربِ مع وجودِ حركةٍ من علوٍّ إلى سفل، في حين أنَّ القربَ هو مجرَّد خلافِ البُعد[4]، ويُستَعْملُ في المكان والزَّمان، والنِّسبة، والحُظْوة، والرِّعاية، والقدرة[5]، وقد استُعمِل هنا لفظ (﴿دَنَا﴾ - ﴿أَدْنَىٰ﴾)؛ لكونه أنسبَ مع سياقِ الآية الكريمة الَّتي وردَ فيها لفظ (تدلّى)، ولفظ قاب قوسين، ممّا يدلُّ على القرب في المسافة، وهذا القربُ هو من علوٍّ إلى سفل، وأيضًا باختيار دنا وأدنى يتحقَّق الجناس الاشتقاقيُّ الَّذي فيه مراعاةُ الفاصلة، فضلًا عن وجودِ الطِّباق بين أعلى وأدنى.

الـدُّنـوُّ قـربُ المـسـافـةِ من علوٍّ إلى سفلٍ، والـقـربُ خلافُ البعد

القاب والمقدار:

القابُ هو قياسُ مسافةٍ محدَّدة بدقَّة، تدلُّ على شدَّةِ القرب، فالقابُ: هو ما بَيْنَ المَقْبِضِ والسّيَةِ من القوس، ويُقال: بَينهما قاب قَوس؛ كِنايَةً عَن القرب[6]، في حين أنَّ المقدار أعمُّ من القاب؛ إذ مقدار الشَّيء مثله في العدد أو الكيل أو الوزن أو المساحة، والقضاء والحكم، وقدْرُ كُلِّ شَيءٍ ومِقدارُه: مِقياسُه، ومبلغه، والمقدارُ: الكمّيَّة[7]، أي: يدلُّ المقدارُ على القياس والكمّيَّة، ويشملُ الزَّمان والمكان والكمَّ، والمادّيَّ والمعنويَّ، وقد كان استعمال لفظ ﴿قَابَ﴾

الـقـابُ مسافةٌ دقـيـقـةٌ وقـريـبـةٌ جدًّا تتناسبُ مع تلقّي الوحي

(1) العسكري، الفروق اللغوية، ص: 307.
(2) الراغب، المفردات: (دنا).
(3) محمد جبل، المعجم الاشتقاقي المؤصل: (دنو).
(4) ابن فارس، مقاييس اللغة: (قرب).
(5) الفيروزابادي، بصائر ذوي التمييز: 4/ 253.
(6) الراغب، المفردات، والمعجم الوسيط: (قاب).
(7) ابن منظور، لسان العرب، وأحمد مختار عمر، معجم اللغة العربية المعاصرة: (قدر)، والمناوي، التوقيف على مهمات التعريف، ص: 312.

أنسبَ وأدقَّ في سياقٍ يدلُّ على شدَّةِ القرب؛ للدَّلالة على مسافةٍ دقيقةٍ وقريبة جدًّا، وهي قاب قوسين، وهذا يتناسب مع حقيقة الوحي، وهو إلقاءٌ في خفاء، فتبليغُ القرآنِ الكريم من جبريل عليه السلام إلى النَّبيِّ ﷺ كان من مسافةٍ قريبة جدًّا بينهما.

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد الثامن والخمسون،
سورة الطُّور من الآية 25 إلى سورة الرَّحمن الآية 30
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1447هـ - 2026م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2026م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: المجلد الثامن والخمسون، سورة الطُّور من الآية 25 إلى سورة الرَّحمن الآية 30
[إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2026.
مج. 58 ، 800 صفحة؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-647-62-1
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 58 : المجلد الثامن والخمسون، سورة الطُّور من الآية 25 إلى سورة الرَّحمن الآية 30.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن-
ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي : 978-9948-647-62-1
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-4238337 بتاريخ 2026/01/07م،
الهيئة الوطنية للإعلام، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
"تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري
الصادر عن المجلس الوطني للإعلام"
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي "النجار"